

كتاب فرويد عن موسى

للأستاذ عباس محمود العقاد

أشارت الأنباء البرقية منذ أسابيع إلى كتاب العلامة فرويد عن أصل موسى الكليم عليه السلام وكان يوشد على وشك الصدور باللغة الإنجليزية

والعلامة فرويد كما هو معروف أستاذ الأساتذة العالميين في علم التحليل النفسي ، بدأ بالكتابة فيه عند أوائل القرن الحاضر ثم تفرغت على مذهبه فيه مذاهب أتباعه ومريديه ومعارضيه تارة بالتوسيع والتأييد، وتارة بالتعديل والتضييق، وتارة بالناقضة والتنفيذ ونحن على مخالفتنا إياه في الرجوع بكل خليفة من الخلائق وكل عارضة من عوارض النفس إلى الفرزة الجنسية ، وعلى إشارتنا لأراء بعض مريديه ممن يضيفون إلى الفرزة الجنسية الفروع إلى امتداد الشخصية ، وعلى ما في نظرتة إلى الفنون والآداب من الضيق واللبغاف ، نعتقد أن الرجل قد أضاف إلى معارف الإنسان ذخيرة قيمة من التحقيقات والتوجيهات التي لا تضيع سدى ولا تزال مرضعاً للتصحيح والإيقان على تعاقب الأيام

وقد صدر كتابه من موسى الكليم بالإنجليزية فإذا هو أعجوبة الفروض والاحتمالات، أو باعتبار أنه هو أعجوبة التانيقات والتخمينات؛ إذ كان من التمذر عليه أن يرجع إلى حقائق التاريخ أو أساليب العلم في الاستقصاء ، فاعتمد على الفروض وقال بمرح الصابة إنه لا يعتمد على شيء غير الفروض

وربما كان العجب الأعجب في الكتاب أن مؤلفه من بني إسرائيل وهو يحاول ما يحاول للرجوع بنسب موسى عليه السلام إلى مصر لا إلى إسرائيل

ولهذا استهدف الرجل للنسب من أبناء قومه قبل النسب من الأجانب عنه وعن مخالفتة في الرأي والاعتقاد

ظنه الأول قائم على الاسم ومنشأه من اللتين العبرية والمصرية القديمة

فبعض العبريين يزعمون أن موسى مأخوذة من « موسى » العبرية بمعنى المنتشل أو المرفوع ، ويقولون إن بنت فرعون انشلتته من النيل فسمته لذلك بهذا الاسم الذي يدل عليه وفرويد يشكك في تصريف الكلمة، ويشكك في سبب التسمية، ويقول إنه على فرض صحة المعنى المنسوب إليها بالعبرية فليس من المقبول أن ابنة فرعون كانت تعرف لغة إسرائيل معرفة الفقهاء والنحاة المتمميين في النحت والتصريف

أما الرأي الذي يؤثره فرويد فهو أن الكلمة مصرية عريقة معناها الطفل أو الابن ، وأصلها البسيط « موس » باللغة المصرية القديمة ، ولم يتغير معناها بعد ذلك في عصر من العصور وقد كان المصريون يسمون أبناءهم بموت موس أي طفل بموت أو توت الإله المروف

ويسمون أبناءهم بتاحموس أو أحموس ومعناها طفل بتاح ويسمونهم « راعموس » أي طفل راع وهو الاسم المشهور رعسيس أو رمسيس

ثم كانت هذه الأسماء تختصر مع السرعة والترخيم والتدليل فيكتفي منها بالمقطع الأخير وهو « موس » أو موسى

وذلك على مثال الاكتفاء باسم « عبده » في تداء عبد الله وعبد الحيد وعبد الكريم ، وعلى مثال جونسون وروبنسون وستيفنسون وموريسون واختصارها أحياناً بمختلف مقاطع منها في المفاداة بين الأعزاء والأخصاء

فوسى على هذا هو اختصار اسم من هذه الأسماء ، وهو لفظ عريق في لغة المصريين

والظن الثاني الذي يدعو فرويد إلى تخمينه هو فرينة الختان التي أخذها بنو إسرائيل من المصريين ولم تكن معروفة بينهم قبل هجرتهم من وادي النيل

فإذا كان بنو إسرائيل قد خرجوا من مصر ناكين عليها وعلى أهلها فكيف يتشبهون بهم وهم خارجون منها أو خارجون عليها ؟ إنما التأويل المقبول في رأي فرويد هو أن موسى كان أميراً مصرياً حانقاً على بني وطنه فهجره مع أبناء إسرائيل المتعزدين

ثم فرض عليهم عادات مصر وشعائرها فأطاعوه حباً وبجاملة واضطراً ثم تكسروا في وادي التيه ومنزجوا بعقيدته عقائد البادية فيما بين سيناء وفلسطين

ويعرض فرويد هنا كثيراً من الفروض والتخمينات ثم يرجح منها لأسباب يطول شرحها فرضاً يراه لتلك الأسباب قريب الاحتمال

ذلك الفرض هو أن موسى عليه السلام كان أميراً من أمراء البيت المالكي على أيام الملك الموحد الداعي إلى الإله الفرد الصمد «أختاتون»

وإن أختاتون خلع من الملك واستبد خلفاؤه بأصحاب الأديان المخالفة لهم ، فضاعت سبل البلاد بموسى وهو على عقيدة التوحيد ولم يجد أمامه أحداً يتور به ويطاوعه في تأسيس دينه ودولته فبهر هؤلاء الغرباء من الإسرائيليين وهم مثله يشكون ويتمللون ، فوثبهم وهاجر بهم إلى الحدود المصرية في انتظار الفرصة السانحة أو في طلب الملك والعقيدة الصالحة بمنزل عن كهان الوثنيين

والذي يعزز هذا الاحتمال أن اللاويين من بني إسرائيل كانوا يتسمون بأسماء فرعونية لا علاقة لها باللغة العبرية ، وما كان هؤلاء اللاويين إذن إلا حاشية الأمير وذوي قريله ، إذ كان من المستبعد جداً أن يهجر وطنه منفرداً بشير وولي ولا قريب تلقنا : بل هناك احتمال آخر كان أولى بفرويد أن يرجحه على ذلك الاحتمال

فلماذا لا يقول مثلاً إن موسى كان إسرائيلياً من أسرة الرؤساء في بني إسرائيل فرباه فرعون مصر على سنة الملوك في تربية أبناء الرؤساء الذين يدينون لهم بالطاعة ويعترفون لهم بالرعاية ؟ أليس هذا الرأي أقرب إلى التوفيق بين التقيضين من عادات مصر وعادات إسرائيل ؟ ألسنا قادرين بهذا الفرض أن نغمم اقتباس موسى للعادات التي درج عليها وغيّره على أبناء جنسه في آن ؟

•••

وقد عرض فرويد لتشوه التوحيد في مصر وهو أمر ثابت لا جدال فيه ولا اعتراض عليه

وقال فرويد : إن براير التوحيد ظهرت بين المصريين قبل ظهور أختاتون الذي أتم هذه العقيدة وأفرغها في قالبها المحفوظ وعلّة ذلك عند فرويد أن اتساع الامبراطورية المصرية قد استدعى توحيد الإيمان بإله واحد كما استدعى توحيد الطاعة لملك واحد

فإن فرعون مصر ما كان يطبق العبادات الكثيرة والأرباب المتعددة التي لا تجتمع إلى وحدة موصولة ولا تزال سبباً متجدداً من أسباب الفتنة والتفرق والعميان ، فجعل للإمبراطورية كلها داخلها وخارجها رباً واحداً تشترك فيه وتثوب إليه ، وكان هذا سبب التوحيد الأول على صورة الساذجة التي أملىها أختاتون ثم تصفب الرسل بإصلاحها بحد ذلك

•••

تخمينات

ولكنها تخمينات علماء مخلصين ، وهي لحنا حقيقة بالنظر والاعتبار
وباس محمد العقاد

الفصول والغايات

معمرة الشاعر الطيب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقتة ، وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قلل فيه ناقدهو أبي العلاء إنه عرض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة في القاهرة .

صحه وترحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زحاني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »

ويباع في جميع المكتبات الشهيرة